

121554 - لماذا حرم الإسلام تشبه المسلمين بالكفار؟

السؤال

لماذا حرم الإسلام على المسلمين أن يتشبهوا بغيرهم؟

الإجابة المفصلة

التشبه بالغير حالة تطرأ على النفس البشرية، تدل على عظم محبة المتشبه لمن تشبه به، وهي في كثير من أحيائها ظاهرة غير صحية، وقد أولت الشريعة هذه القضية [تشبه المسلمين بالكفار] اهتماماً بالغاً، وحرمتها الرسول صلى الله عليه وسلم تحريماً قاطعاً، فقال: (مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ) رواه أبو داود (4031) وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

قال شيخ الإسلام رحمه الله:

"وهذا الحديث أقل أحواله أن يقتضي تحريم التشبه بهم، وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم، كما في قوله: (وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ) المائدة/51.

فقد يحمل هذا على التشبه المطلق فإنه يوجب الكفر، ويقتضي تحريم أبعاض ذلك، وقد يحمل على أنه منهم في القدر المشترك الذي شابههم فيه، فإن كان كفراً، أو معصية، أو شعاراً لها كان حكمه كذلك. وبكل حال يقتضي تحريم التشبه" انتهى باختصار من "اقتضاء الصراط المستقيم" (1/270، 271).

ويمكن تلمس الحكمة من تحريم تشبه المسلمين بالكفار من معرفة أضرار هذا التشبه وآثاره السيئة، فمن ذلك:

1- أن تشبه المسلم بالكافر يدل على تفضيل المسلم لهيئة الكافر على هيئة نفسه، وهذا قد يكون فيه شيء من الاعتراض على شرع الله تعالى ومشيئته.

فالمرأة التي تتشبه بالرجل كأنها معترضة على الهيئة التي خلقها الله عليها، وغير راضية عنها.

وكذلك المسلم إذا تشبه بالكافر، فإنه يعلن أن هيئة الكافر خير له من الهيئة التي أكرمه الله بها، وأمره أن يكون عليها.

2- التشبه بالغير دليل على الضعف النفسي، والهزيمة النفسية، والشريعة لا تقبل من المسلمين أن يعلنوا تلك الهزيمة، حتى وإن كانت واقعاً.

إن الاعتراف بالهزيمة وإعلانها يزيد الضعيف ضعفاً، ويزيد القوي قوة، وهذا قد يكون من أكبر العوائق على نهوض الضعيف وتصحيحه لمساره.

ولهذا فإن العقلاء من أي أمة من الأمم يأبون أن تقلد شعوبهم عدوهم، بل إنهم يحرصون على تمييزهم بتراتهم وتقاليدهم وأزيائهم حتى ولو رأوا أن العدو له تراث وتقاليد وأزياء خير مما هم عليه؛ وما ذلك إلا لأنهم يدركون الأبعاد النفسية والاجتماعية، بل والسياسية للتبعية الشكلية للعدو.

3- التشبه في المظهر الخارجي ملازم للمحبة والولاء القلبي، فلا يتشبه الإنسان إلا بمن يحبه، والمسلمون مأمورون بالبراءة من الكفار بشتى أنواعهم، قال الله تعالى: (لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ

تَتَّقُوا مِنْهُمْ ثِقَاةً وَيَحْدَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ) آل عمران/28 . وقال تعالى : (لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ) المجادلة/22 . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : (أوثق عرى الإيمان : الموالاة في الله ، والمعاداة في الله ، والحب في الله ، والبغض في الله) . رواه الطبراني وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (998) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في "اقتضاء الصراط المستقيم" (1/549) : "المشابهة في الظاهر تورث نوع مودة ومحبة ، وموالاة في الباطن ، كما أن المحبة في الباطن تورث المشابهة في الظاهر ، وهذا أمر يشهد به الحس والتجربة" انتهى .
فالتشبهه بالكفار فيه إضعاف لهذا الأصل من أصول الدين : وهو البراءة من الكفار وبغضهم .
4- التشبهه بالكفار في الظاهر يؤدي إلى ما هو أخطر ، وهو التشبهه بهم في الباطن ، فيعتقد اعتقادهم ، أو يرى تصحيح مذاهبهم وآرائهم ، فبين الظاهر والباطن ارتباط وثيق ، ويؤثر أحدهما على الآخر .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم (1/548) : "فالمشابهة والمشاكله في الأمور الظاهرة ، توجب مشابهة ومشاكله في الأمور الباطنة على وجه المسارقة والتدريج الخفي ، وقد رأينا اليهود والنصارى الذين عاشروا المسلمين ، هم أقل كفراً من غيرهم ، كما رأينا المسلمين الذين أكثروا من معاشره اليهود والنصارى ، هم أقل إيماناً من غيرهم" انتهى .
وقال ابن القيم رحمه الله تعالى : "لأن المشابهة في الزي الظاهر تدعو إلى الموافقة في الهدي الباطن كما دل عليه الشرع والعقل والحس ؛ ولهذا جاءت الشريعة بالمنع من التشبهه بالكفار والحيوانات والشياطين والنساء والأعراب" انتهى من الفروسية ص(122) .
فهذه بعض الحكم الظاهرة لتحريم الشرع تشبهه المسلمين بالمشركين ، وعلى المسلم أن يمثل حكم الله تعالى ويؤمن أن الله تعالى لن يأمره إلا بما فيه الحكمة والمصلحة والسعادة في الدنيا والآخرة .
والله أعلم .